

تفسير ابن كثير

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا

(ولا يأتونك بمثل) أي : بحجة وشبهة (إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) أي : ولا يقولون قولاً يعارضون به الحق ، إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر ، وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم . قال سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس : (ولا يأتونك بمثل) أي : بما يلتمسون به عيب القرآن والرسول (إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً) أي : إلا نزل جبريل من الله بجوابهم . ثم في هذا اعتناء كبير؛ لشرف الرسول ، صلوات الله وسلامه عليه ، حيث كان يأتيه الوحي من الله بالقرآن صباحاً ومساءً ، ليلاً ونهاراً ، سفراً وحضراً ، فكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن كإنزال كتاب مما قبله من الكتب المتقدمة ، فهذا المقام أعلى وأجل ، وأعظم مكانة من سائر إخوانه من الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله ، ومحمد ، صلوات الله وسلامه عليه ، أعظم نبي أرسله الله وقد جمع الله تعالى للقرآن الصفتين معا ، ففي الملاء الأعلى أنزل جملة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في سماء الدنيا ثم نزل بعد ذلك إلى الأرض

منجما بحسب الوقائع والحوادث. قال أبو عبد الرحمن النسائي : أخبرنا أحمد بن سليمان ،
حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : أنزل القرآن
جملة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر ، ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ، قال : (ولا
يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا) ، وقوله (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس
على مكث ونزلناه تنزيلا) [الإسراء : 106] .